

الأرض ...

للأستاذ محمد محمد توفيق

[أنطق صديقي الدكتور حسن هتان البحر بمنجابه
الرائحة على ضفان الرسالة الغراء ، وأبى أن يود
بشاره لى الأرض ، مؤثراً عليها هوائى البحر
وعجائبه . فنظفت الأرض أم الكائنات بهذه الآيات
لعل الشاعر أن يود لى أحضان أمه ...]

أنا الأرض فوق كل حى وميت
أنا الأرض مهد الكائنات ولحدها
وعيت نداء الله فى كل خلقه
ومن قبل خلق الكائنات عبده
أدور كما دارت وأسعى كما سعت
تطهرنا النار الإلهية الظى
أنا الأرض كم حجت وفود وأعصر
وكم طيبات فوق سطحى مشاعة
وكم من حياة تملأ الروح كأسها
وهذى العظام الناخرات أحيلها
أنا الأرض لا حى على مخلد
وما فى الناموس عندى كتابه
فيا بجر... ماذا أنت يا بجر قائل
وما هفتات رجع الصخر شجوها
وما سرخات للأواذيب صمد
لقد حاجنى يا بجر أنك شاعر
فأنظقت أطواذى وأجريت أنهرى
وأسكرتها بالراح من كأس كرمية
فيا بجر... قل يا بجر ما أنت قائل
وقد طال إغفالى جمالى وزينتى
أنا الأرض للإنسان أزيلت جنة
وكنت تطلق الله صرعى ومسرحاً

فلا نغلة تشقى إذا طالب سعيها
ولا دودة مكنونة وسط صخرة
لكل نصيب من ترابى وأسمى
وكل ينادىنى بيا أم إن شكا
وأشرح صدرى للذى ضاق صدره
وأسكب دمعى إن أبى الزن أدمعاً
فمن وديعات على عنيزة
فإن غربت شمس الحياة فإنى
وأشر من فوق التراب عليهم
ترابى وماى فيها كل زينتى
وإنك تلقى جوهر التراب واحداً
فآلاف آلاف من الزهر والنضا
تفيض بها أرحام ترب رحيمه
ولى ريشة فى قفا عبقرية
وما طر بي نبت ولا هاج يابس
ولا حملت حبلى ولا خف حملها
ولا سسقى المصغور والطل بارق
ولا حلق النسر للكيمت مصغراً
ولا أطبقت أنياب ليش غضنفر
ولا انبجس الله الزلال من الصفا
ولا طلعت أكام وردي وسوسن
ولا عتقت كرم دنان من العلى
ولا هام نحل بالأزاهير شادياً
ولا عصفت ربح الخريف بشاحب
ولا سبكت حبات قح مبارك
ولا أرطبت إلا بميمات خالق
أنا الأرض أطياف الرباب مظلتى
وربداتى^(٣) شعرى وقيثارتى الصبا

ولا طائر إلا يصيب فتانى
ولا هام فى البيد والقوات
وكل له حظ من الشهب
فأغمره بالحب والدهوات
وأعتنق للكودود بالتبيلات
وأرسل فى لحن الصبا زفرانى
وصون وديعات الإله صلاتى
أشبح أنسأى إلى الظلمات
رداء من الأعشاب والزهورات
وكل أفانى وكل هياتى
ويونع بالأبحار مختلقات
وآلاف آلاف من الثورات
ويرضها التهان بالتطرات
تكون أزهارى بماء حياتى
ولا جف قطير^(١) يشق نواة
ولا دب مسجون من البرقات
ولا هاجرت طير إلى القمرات
ولا انقض مسور أعلى الوكفات
على رشا من ساكنى الأجمات
ولا فاض ينبوع من الربوات
ولا اخضر ريان من الورقات
ولا فتح للتيروز فى القصبات
يقبل ممسولاً من الوجفات
من الورق الوستان فى الشجرات
ولا أبلعت عيدانه^(٢) بفلاة
يفيض على الأكران بالرحمات
نهاراً وأسراب اللغام سقانى
وتفريد أطيسار الرباتى

(٢) الهداية : النحلة الفتية

(١) القطير : قمرة النواة

(٣) الربدات : الربح المينة